ابن رشد

الشّرح الكبير لكتاب النفس لأرسطو

نقله من اللاتينية إلى العربية
الأستاذ إبراهيم الغربي

المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون
« بيت الحكمة »

إلى زوجتي شادية
وابنائي شهرزاد وسالم وملاك وبلال

إبراهيم الغزيي

سحب من هذا الكتاب 2000 نسخة في طبعته الأولى
© جميع الحقوق محفوظة للمجمع التونسي
للعلوم والآداب والفنون « بيت الحكمة »

تقديم الدكتور عبد الوهاب بوحديبة

رئيس المجمع التونسي « بيت الحكمة »

يشرّفني أن يقدّم المجمع التونسي هذا الإنجاز المعرفي المتميّز إلى قرّاء العربية داخل تونس وخارجها. كما يشرفني أن يتحقّق هذا الإنجاز في إطار تظاهرة « تونس 97 عاصمة ثقافية » وضمن احتفائنا بالذكرى المائوية الثامنة لوفاة علم بارز من أعلام الفكر الإنساني الكوني الحر : ابن رشد، هذا الفيلسوف العربي الإسلامي الفذ الذي أنار – بفكره المتنوّر المتسامح – عقول أجيال كثيرة من أقوام مختلفة شهدت له بالرّيادة والحصافة فكان موقظا للضمير الانساني في كل زمان ومكان .

إنّ صدور كتاب « شرح ابن رشد الكبير لكتاب النفس لأرسطو » في صياغته العربية الكاملة لأول مرة بعد أن ظل القرون الطويلة حبيس اللغة اللاتينية يُعتبرُ تكريما معرفيّا نبيلا للتراث الرشدي الذي كان دوما العلامة المتفرّدة والإضافة المضيئة في المسيرة المعرفية الكونية .

وهذا الكتاب هو نتاج تعاون مثمر بين المجمع التونسي الذي حرص – منذ تأسيسه – على إعادة الإعتبار للقيم المتنوّرة في تراثنا

العربي الإسلامي والأستاذ إبراهيم الغربي الذي اجتهد في نقل الأصل اللاتيني إلى العربية التي حاول أن يجعلها أقرب ما تكون إلى أسلوب ابن رشد .

وقد سعى المجمع التونسي إلى تشريك نخبة من الأساتذة المختصّين – نذكر من بينهم بالخصوص الزميل الدكتور عز الدين قلوز الأستاذ بجامعة باريس – في إنجاح هذا المشروع المعرفي الجليل .

فإلى سيادة الرئيس زين العابدين بن علي يقدّم المجمع التونسي " بيت الحكمة " خالص امتنانه لما يحظى به عنده ابن رشد من عناية سامية جعلت تونس تتفتح اليوم – وأكثر من أي وقت مضى – على الثقافات الكونية المتآلفة .

ويُعبّر المجمع التونسي عن صادق شكره للأكاديمية المتوسطية الأمريكية لموافقتها الكريمة على إصدار النص اللاتيني لشرح ابن رشد الكبير في طبعة تونسية خاصة .

ويأمل المجمع التونسي « بيت الحكمة » أن يكون – بنشر هذا الأثر الفلسفي الخالد – قد وضع بين أيدي قرّاء العربية في كل مكان كنزا لن ينضب من القيم المثلى .

تقديم الأستاذ جاك فونتاي
رئيس مجمع النقائش والآداب بفرنسا
أستاذ شرفي بجامعة السربون بباريس

هذا مشروع كبير يأتي في إبانه : ولا أحسبني أجد أحسن من هذا الوصف للكتاب الذي يقدّمه هنا ابراهيم الغربي إلى القراء العرب وإلى المختصين في العربية. فهو يأتي في وقته في نهاية هذا القرن والنّاس يبحثون حيثما كانوا عن جذورهم الفكرية والروحية وخاصة على ضفتي البحر المتوسط الغربي، إذ يوجد بين الشارح العربي في القرن الثاني عشر والمترجم اللاتيني في القرن الثالث عشر والمترجم الحالي الذي خلفه في القرن العشرين تجانس ذو دلالة. فثلاثتهم ساهموا بالتناوب – جريا على سنّة مأثورة واحدة – في نقل إحدى أمّهات الفكر اليوناني القديم. وهكذا يتواصل أمام أعيننا هذا التبادل الخصب الذي تتأكد به عبر القرون طرافة حوض البحر المتوسّط الخلاقة وهو الذي يتجاوب فيه اسم المغرب ذاته مع اسم الغرب اللاتيني والروماني. وفي هذه الظروف الفكرية التي عاد المؤرخ فيها أكثر تأثرا بقوة التواصل منه بعنف الانفصال لا بد لنا أن نلاحظ أن تشابه المشروعين يقصر المسافة بين حضارتينا : بين ميشال سكوت الذي أنقذ في القرن الثالث عشر بترجمته اللاتينية هذه المقالة التي فقد حاليا نصها الأصلي وبين ابراهيم الغربي الذي أعاد اليوم هذا النص إلى ذخر الأدب العربي الزاخر .

ولكي نفهم جيّدا هذا الشبه وفي الآن نفسه رهان المشروع الحالي يجب أن نتأمّل صورة الفيلسوف والفقيه الاسلامي الذي أعيدت صياغة شرحه هنا على الشكل الذي ربما كان عليه في الأصل العربي. فقد كلفه في قرطبة الخليفة الموحدي المتزمت بشرح آثار أرسطو كلها لتيسير قراءتها فأصبح - وهو الذي سيسمّيه الغرب اللاتيني Averroes - الصلة المثلى بين الفيلسوف اليوناني الكبير الذي لم تعرف عنه في القرون الوسطى العليا (من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر) إلاّ الآثار المنطقية (أي الارغنون l'Organon) وبين الغربيين العربي والمسيحي على حد سواء. إنّ حداثة فكر هذا الفيلسوف القرطبي كفيلة بأن تثير اهتمامنا بفضل خاصية أساسية هي أنّ أبا الوليد محمد بن رشد أراد أن يدافع في كل الميادين عن حقوق العقل ضدّ من طعن فيها. ولكي يدحض مؤلف الغزالي المعروف بتهافت الفلاسفة نقد براهينه تحت عنوان مضاد وهو تهافت التهافت ثم ألف مقالة أخرى وهي إيجابية صراحة - عنوانها فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال. فكان هكذا الاخلاص عنده لمفهوم ان لم نقل لمنطوق الفلسفة القديمة سمة لثقافة الغرب الاسلامي في نهاية هذا القرن الثاني عشر.

والشروح الثلاثة لأرسطو التي ألفها ابن رشد تستكمل معناها في اطار فكر عميق متماسك يريد أن يستوعب لغاياته الخاصة أحسن ما في التراث القديم دون أن يضر المنهج العقلاني بالعقيدة. وكان ابن رشد في عصره أيضا محلّ الاحترام كفقيه وفيلسوف معا ومن أجل ثقافته الفقهية والرياضية على حد السواء. وهو ذلك المفكر الجامع الذي فتح للفكر العربي فتحا كاملا ينبوع الفكر اليوناني الأكبر من خلال مؤلفات أرسطو. ولقد شرحه ابن رشد عن دراية عميقة بافلاطون - وكان قد فسر جمهوريته - وبالعديد من الفلاسفة اليونانيين الآخرين المذكورين بدقّة في شرحه .

أما كتاب النفس فهو يحتل مقاما ممتازا بين آثار أرسطو وهو ضمن القائمة الطويلة للمقالات القديمة في النفس يتبوأ مكانة أساسيا من بين مجموع آثار فيلسوف ستاجير (Stagire) اذ يقع موضوعه فعلا في نقطة الاتصال الدقيقة بين أطروحات أرسطو الماورائية في الكون والسببية الالاهية العليا وبين الصلة الشخصية التي تنشأ في النفس ذاتها بين الجواهر المطلقة والواقع الحي للوجود الروحيّ، أعني واقع الفكر الشخصي الذي يدرك ويعكس ويفكر ويؤسس القوة العاقلة وعملها الخاص. لقد كانت كثافة تسلسل المفاهيم ودقتها تحتاجان لتوضيح وتدعوان الشارح لمجابهة فكره الخاص بفكر فيلسوف ستاجير.وعلى هذا الأساس تتّضح القيمة الفلسفية المزدوجة لشرح ابن رشد الأكبر اذا نظرنا إليه في حد ذاته .

فهو في المقام الأول يروض القارئ على فهم عدد من الأطروحات الأساسية لفلسفة أرسطو. لقد كان الكشف عن فكر الفيلسوف اليوناني القديم وتوضيحه في هذا النص المرميين اللذين حققهما ابن رشد بعملية الشرح التي هي إعادة إنشاء. وهذا هو الوجه الثاني للفائدة الفلسفية التي يبرزها هذا الكتاب. ولقد أنصف عصرنا الحاضر هذا الجنس الأدبي وأبرز طرافته الخاصة، وفيه يظهر حوار نشيط مع المؤلف الأصلي. إنّ شرح ابن رشد الذي يعتمد دوما على النص المترجم لا يستمد إذن قيمته فقط من كونه محاولة لفهم معمّق للفكر اليوناني ولكن من خلال النقل المزدوج للمترجم (الذي يحتمل ألاّ يكون ابن رشد) وللشرح العربي، وهو يسمح أيضا بمعاينة ذلك المجهود الشخصيّ المتأنّي لما يمكن تسميته اليوم إعادة قراءة أرسطو حيث ينكشف ابن رشد في قوة فكره الملم أيضا بكامل الثقافة العربية في عصره .

إذن فالمترجم اللاتيني ميشال سكوت قد نقل إلى الغرب في نفس الوقت الفكر اليوناني الكلاسيكي بعد أن أصلحه أو على الأقل بعد أن

أعاد صياغته والفكر العربي الوسيط للشارح الأندلسي العربي الذي نقله عنه عندما ترجم – في الثلث الأول من القرن الثالث عشر وعلى الأرجح في طليطلة والا من بعد ذلك في صقلّية – من العربية إلى اللاتينية شرح ابن رشد. فكان أثر تلك الترجمة عظيما لأول وهلة في الفكر المدرسي المزدهر كل الازدهار آنذاك وعلى وجه التحديد في جامعة باريس الفتيّة. ويستعمل توما الاكويني الذي يبقى الى يومنا هذا أحد أبرز المفكرين في الغرب المسيحي تلك الترجمة بكثرة لمقالته الخاصة في النفس ويؤكّد بدون أي لبس : "أمّا في ما يخصنا فليست لنا إلا اختلافات قليلة مع ابن رشد". ومن ثم تأتي المجادلة الطويلة حول وحدة القوة العاقلة والتي يناظر فيها أوّلا توما الاكويني علما باريسيا من نفس الكفاءة هو سيجاردي برابنت، ولكن تصدر كذلك إدانة بعض الأطروحات الرشدية من قبل ايتيان طمبيي أسقف باريس في سنة 1270 وما بعدها وتتواصل الخصومة بعد ذلك في الجامعة الباريسية شوطا كبيرا في القرن الرّابع عشر. وهكذا يتّضح الدور المنشط للفلسفة الأرسطيّة بفضل وساطة ابن رشد بالنسبة إلى الفكر المسيحي الوسيط عندما بلغ تمام النّضج .

وقريبا من جنوب صقلية التي كانت تقبّلت ميشال سكوت في عمله كمترجم سيواصل ابن رشد إذن بالعربية وبفضل هذا الكتاب دور الوسيط. وبهذه الإعادة الدقيقة لصياغة نص أقرب ما يكون من الأصل (وهي عمليّة تزداد صعوبتها بحسب ضرورة التغلّب على الغموض الخاص بلاتينية ميشال سكوت) رسم ابراهيم الغربي نقطة اللقاء التي أبرزتها كل الابراز ترجمة حياته الفكرية الخاصة. فهو يؤكد هنا – مقتديا بابن رشد وميشال سكوت – أنه مارس ما يمكن أن يسمى بفن التخوم، فلا يكتفي بأن يعيد الى الفلسفة العربية إحدى حلاها الوسيطة بل يساهم مع ذلك في توثيق عرى الصلات العريقة والحيّة التي تصل ضفتي البحر المتوسط في البحث المشترك عن الحقيقة إذ

هو مجاز في العربية ومبرز في الآداب الكلاسيكية وطالب مستمع سابقا بدار المعلمين العليا الكائنة بنهج "أولم" حيث تكوّن تماما في جامعة باريس التي بقي متعلقا بها أشدّ التعلق ومعترفا لها بالجميل كما تدل عليه هذه المقدمة التي طلب مني كتابتها عن عودة نصّ ابن رشد إلى العربية. وهكذا تهيأ ليكون في تونس صانعا نشيطا للتبادل المرغوب فيه أكثر من أي وقت مضى بين الثقافات العربية واللاتينية والفرنسية .

إذن فرهان هذا المؤلف يفوق بكثير الفائدة (وهي بعد وفي حد ذاتها عظيمة) المتمثّلة في استكشاف جدي لما ألمّ بنصّ فلسفي أرسطي من تقلبات خلال العصر الوسيط، لأن تاريخ هذا النص - انطلاقا من مؤلّفه (ومحركه الأول Primum mouens أرسطو نفسه) إلى مترجمه والى معيد ترجمته - يرسم سبيلا خصبا للتعاون الفكري والروحي بين حضاراتنا وهو تعاون ضروري حاليا، ولا أدلّ على ذلك من تلك القرون الطويلة من المصير المشترك التي تربطنا، بدءا بافريقيا الهلنستية الرومانية ومرورا بقرطبة الموحدين وباسبانيا المسيحية وبصقلية ملوك بالرمو (ذلك الملتقى المثالي للغات وللثقافات وللحضارات وللأديان) حتى الجامعة الباريسية (جامعتي القرن العشرين والقرن الثالث عشر في آن واحد) والجامعة التونسية الحالية. بهذا المعنى يؤكّد هذا الكتاب حيوية وأهمية الحركية الفكرية التي اتّضح أنها تعود الى أبعد العصور قدما والتي لم تنقطع إلاّ نادرا .

إنّ من يلتفت هكذا الى الماضي لا يقبع في برج عاجيّ متهرّبا من مشاكل عصرنا بل يحج إلى تلك المصادر المشتركة ساعيا إلى تعايش عريق بين الناس والأفكار ويتمكن بذلك من الوسائل التي يواجه بها المشاكل الحاليّة واعيا أوّلا بوحدة تاريخية ذات صبغة روحية. وتلك لعمري ميزة مشروع ابراهيم الغربي. فعوض أن ينزوي في تبحر

علمي لا صلة له بالحياة رسم بحماس محاولة دؤوبة للتقارب وللتفاهم المشتركين وبهما اتّسم دائما التعاون الحر بين فرنسا وتونس .

ويملي علينا هذا المصير المشترك واجبات فيحملنا على أن نذكّر الغرب والعالم الاسلامي معا بعراقة وثراء صلاتهما التاريخية .

وما إعادة ترجمة كتاب ابن رشد في النفس ونشره في تونس وعلى يد تونسي متعلق أشد التعلق بثقافاته المختلفة إلاّ مظهران لبادرة ناجعة تنبئي بأنّنا نسير حثيثا في هذا القرن نحو الاعتراف والاحترام المتبادلين تجاه الحضارات التي تثريه، وهذا الاعتراف أسهل بكثير في بوتقة البحر الأبيض المتوسط لأنه يتبوأ فيه – كما يذكّر بذلك هذا الكاتب في الإبّان – مركزا مرموقا وعريقا إلى أقصى الحدود .

وفي هذه الأبعاد يحقق تلميذنا ابراهيم الغربي في حياته كما في عمله النزعة الخاصة التي عرضتها دوما الجغرافيا على تونس العزيزة أرض اللقاءات والتخوم بلا منازع .

وتلك هي بحق العبرة من ابن رشد خلفه الروحي. ومن المنعش أن نراها دائما وأكثر من أي وقت مضى حية في مثل هذا الكاتب.

مـــدخـــل

الأستاذ إبراهيم الغربي

ما من أحد ينكر المكانة التي يحتلّها ابن رشد الحفيد في الأوساط الفلسفية واللاهوتيّة في الغرب اللاّتيني : خلال العصر الذّهبي من تاريخ الفلسفة المدرسيّة (Scholastique) اللاّتينية .

فكما لُقّبَ أرسطو عند المدرسيّين بلقب "الفيلسوف و"المعلّم الأول"، عرف ابن رشد بالشارح الأكبر" إذ كان من أعظم كاشفي فلسفة أرسطو في الأوساط الفلسفية اللاّتينية في حقبة كان فيها الغرب اللاتيني جاهلا للفلسفة الأرسطية .

فشروح ابن رشد تمثل جزءا هاما من الإرث الأرسطي في أوروبا. إن خمسة عشر شرحا من ثمانية وثلاثين قد وقعت ترجمتها مباشرة في القرن الثالث عشر الميلادي .

لكن حديثنا عن شروح ابن رشد يحتم التمييز بين شروحه لمؤلفات أرسطو وشروحه لمؤلفات فلاسفة آخرين. وأن تكون الشروح هي قوام المتن الرشدي فإن شرح ابن رشد لكثير من أجزاء الموسوعة الأرسطية هي ما يشكل بحق قوام الشروح الرشدية. ولسنا نعني بالشرح ما يعتقده خطأ بعضهم، فالشرح ليس التعبير عن عبارة بعبارة

أخرى (Paraphrase)، وإنما هو النفاذ إلى باطن العبارة لكشف وإبراز معناها الحقيقي، وهذا ما انتهجه أبو الوليد بن رشد في شرحه لأرسطو .

وهو ما أبتغي انتهاجه في ترجمتي هذه حفاظا منّي على أمانة النص المترجم، إذ لم أكن أنشد من عملي هذا سوى التعريف بأثر بارز من آثار ابن رشد في اللغة اللاتينية والذي لم تزل مكتبتنا العربية تفتقر إليه، ومن ثمّة كانت ترجمتي هذه لشرح ابن رشد لكتاب النفس لأرسطو .

وصلت مؤلفات ابن رشد الفلسفية والطبيّة منقولة إلى العالم الغربي بين أعوام : 1217م – 1230م، أي بعد أقل من عشرين عاما على وفاة فيلسوف قرطبة ابن رشد، وأول من قام بهذا النقل ميكال سكوت (Michel Scot) الذي عمل لحساب أمبراطور جرمانيا (فريديريك الثاني)[1] فنقل شروح ابن رشد، منها : كتاب "السماء والعالم" و"شرح كتاب النفس" و"شرح ما بعد الطبيعة"، والتي نقلت مبكرا إلى اللاتينية نظرا لأهميّتها القصوى .

ومن بين هذه الأعمال المترجمة نذكر أيضا : "شرح السماء والعالم" (De caelo et mundo) المؤلف في عام 1188م والمترجم في حوالي 1230م ؛ "شرح كتاب النفس" (Commentarius libri de anima) المؤلف في عام 1190م والمترجم في حوالي 1230م ؛ "جوامع ما بعد الطبيعة" (Metaphysica) المؤلف في عام 1161م والمترجم في حوالي 1230م ؛ "جوامع الحس والمحسوس" (Parva naturalia) المؤلف في 1174م والمترجم في حوالي 1230م ؛ "تلخيص الكون والفساد" (De qencratione et corruptione) المؤلف في 1172م والمترجم في حوالي 1230م .

ومن الملاحظ أن الفضل يعود إلى ميكال سكوت أو (سكوتوس) الذي لعب دور الناقل لأعمال ابن رشد، وذلك حسب ما أورده (ارنست رينان). ولاستكمال القائمة يمكن الرجوع إلى الجرد التفصيلي الذي ضبطه في مؤلفه الموسوم بـ "ابن رشد والرشدية"، [2] ونحيل أيضا إلى التفاصيل الهامّة التي أوردها "كارل برو كلمان" عن مخطوطات وترجمات مؤلفات ابن رشد اللاّتينية [3] .

وقد انفردت طريقة ابن رشد (Averroès) [4] على غيرها من الشروحات لما امتازت به من تفسير وتحليل دقيقين. فكانت غايته تروم ثلاثة شروح [5] : الجوامع. الشروح الوسطى أو التلاخيص، التفاسير أو الشروح الكبرى .

وفيما يخص "كتاب النفس" لأرسطو الذي نملك من أعماله :

– تلخيص كتاب النفس، أي الشرح الوسيط لكتاب النفس (مخطوط القاهرة) ثم جوامع كتاب النفس (مخطوط مدريد) ؛ ثم "الشرح الكبير لكتاب النفس" (الطبعة اللاتينية) [6]، وهذا الكتاب مفقود في أصله العربي غير أن هناك شذرات عربية كثيرة مكتوبة بحروف عبرية توجد في نسخة (مودينا) بإيطاليا [7] من تلخيص "كتاب النفس" المكتوب هو أيضا بحروف عبرية [8]. وقد أحال ابن رشد إلى هذا الشرح في مراجعته "لمختصره في النفس"، وفي الإضافات التي أثبتها في "التلخيص"، كما أحال إليه في "شرح ما بعد الطبيعة" [9]. فالترجمة اللاتينية للشرح الكبير "لكتاب النفس لأرسطو" تأليف أبي الوليد ابن رشد – محفوظة في سبعة وخمسين مخطوطا ينسب نقلها إلى (ميشال سكوت)، وهذه المدوّنة موجودة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت [رقم 14385 la] (أشرنا إليها تحت علامة (18)) .

ولقد شكّ (ستيوارت كراوفرد) – الذي أعاد نشر الشرح الكبير لابن رشد لكتاب النفس لأرسطو عام 1953 – في نسبة القول أن هذه

الترجمة لميكال سكوت، وذلك حسب المعطى الذي قدّمه أرنست رينان لمجموع هذه المخطوطات الباريسية بالمكتبة الوطنية التي تحمل الأرقام التالية : Lat 16151 (G) ؛ (3) 15453 و (24) 6504.

ويشهد (غزاميان) أن مخطوط المكتبة الوطنية بباريس (رقم : 16156) يحمل آثارا لناقلها ميكال سكوت في كل من كتاب "السماء والعالم" و "كتاب النفس". وهذا ما لم يقرّ به (كراوفرد). ومن المعلوم أن الأصل العربي للشرح الكبير "لكتاب النفس" مفقود ولا توجد منه إلاّ الترجمة العبرية [مخطوط برلين : orfol 1387] ولقد اعتقد (ستاينشنيد) أنها منقولة عن العربية، ولكن بعد مقارنة مستفيضة من لدن الحبرَيْن ساميال وروز بنلاط تبيّن أن الترجمة العبرية لم تنقل مباشرة من النص العربي بل هي نقل من الترجمة اللاتينية المتداولة آنذاك، ولذلك تعدّ أقل قدما .

أما النسخة اللاتينية التي نقلها من العربية ميكال سكوت في القرن الثالث عشر الميلادي لشرح ابن رشد الكبير لكتاب "النفس لأرسطو تأليف ابن رشد" ؛ والتي أعدناها إلى العربية فيمكن وصفها كما يلي :

CORPUS COMMENTARIOR AVERROIS
IN ARISTOTALEM

=-=-=-=-=-=

CONSILIO ET AUSPICIIS ACADEMIAE AMERINAI
MEDIAVALIS ADIVVANTIBUS ACADEMIS CONSOCIATIS

=-=-=-=-=-=

EDIDERUNT
HENRICUS AUSTRYN WOLFSON
DAVID BANETH
FRANCISCUS HOWARD FOBES
Versionum latinarum
VOLUMEN VI, 1
COMMENTARIUM MAGNUM
IN LIBROS DE ANIMA

=-=-=-=-=-=

CORPUS PHILOSOPHORUM MEDII AEVI
CORPUS COMMENTARIUM AVERROIS
IN ARISTOTALEM

=-=-=-=-=-=

AVERROIS COR PUBENSIS
COMMENTARIUM MAGNUM IN ARISTOTELIS
DE ANIMA LIBROS

=-=-=-=-=-=

Recensuit F. STUART CRAWFORD IN UNIVESITATE
BOSTONIENSI PROFESSOR ADIVVANS

مجموع شروح ابن رشد لأرسطوطاليس

=-=-=-=-=-=

بتوصية ورعاية الأكاديمية الأمريكية الوسيطة
وبمساعدة الأكاديميات الطيفة

=-=-=-=-=-=

نشر هنريكوس أو سترين فلفسون
ودافيد بانث وفرنسيسكوس هواردفوياس

=-=-=-=-=-=

من التراجم اللاتينية
السفر VI(1)

=-=-=-=-=-=

الشرح الكبير لكتاب النفس

=-=-=-=-=-=

مجموع [آثار] فلاسفة العهد الوسيط
مجموع شروح ابن رشد لأرسطوطاليس

=-=-=-=-=-=

ابن رشد القرطبي
الشرح الكبير لكتاب أرسطوطاليس في النفس

=-=-=-=-=-=

حققه ف. ستيوارت كراوفرد
أستاذ مساعد في جامعة بسطن

يحتوي النص اللاتيني من هذا المؤلف على ثلاثة كتب (libros) وهي :

- AVERROIS CORDUBENSIS

- COMMENTARIUM MAGNUM IN ARISTOTELIS (1)

- DE ANIMA LIBRUM PRIMUM

ابن رشد القرطبي

الشرح الكبير لكتاب أرسطوطاليس الأوّل في النفس

[ورقة : 3 – 128]

AVERROIS CORDUBENSIS

COMMENTARIUM MAGNUM IN ARISTOTELIS (2)

DE ANIMA LIBRUM SECUDUM

ابن رشد القرطبي

الشرح الكبير لكتاب أرسطوطاليس الثاني في النفس

[ورقة : 129 – 378]

AVERROIS CORDUBENSIS

COMMENTARIUM MAGNUM IN ARISTOTELIS DE ANIMA (3)

LIBRUM TERTIUM

ابن رشد القرطبي

الشرح الكبير لكتاب أرسطوطاليس الثاني في النفس

[ورقة : 379 – 546]

طبع نص الشرح الكبير بحروف لاتينية مستقيمه داكنه، أما ما طبع بحبر فاتح وبحروف لاتينية مائلة (en italiques)، فهو ترجمة للنص العربي لكتاب أرسطوطاليس في النفس (Περὶ Ψυχῆς) "De Anima" (8) الذي عرفه العرب في أواخر القرن الثالث عندما ترجمه إسحاق بن حنين (ت : 298 هـ / 910م) إلى العربية بعد أن ترجمه أبوه حنين بن إسحاق العبادي (ت : 264 هـ / 873م) من اليونانية إلى السريانية تاما، ونقله إسحاق (إلى العربية) إلاّ شيئا يسيرا، ثم نقله إسحاق نقلا ثانيا تاما. وشرح ثامسطيوس هذا الكتاب بأسره. قال إسحاق بن حنين : "نقلت هذا الكتاب إلى العربي (*) من نسخة رديئة، فلمّا كان بعد ثلاثين سنة وجدت نسخة في نهاية الجودة فقابلت بها النقل الأوّل وهو شرح تامسطيوس" (10) .

أما المخطوط العربي الذي عنه نشر (د. عبد الرحمان بدوي) كتاب "في النفس" لأرسطوطاليس فهو مخطوط أيا صوفيا [رقم 2450، (ورقة 1–71)] (11)، إذ يبدو حسب المستعرب فان آس (VAN ESSE) – أن المسألة أكثر تعقيدا – فهذا المخطوط ليس هو من نقل إسحاق بن حنين كما يعتقد د. عبد الرحمان بدوي بل النص المعني هو مطابق للترجمة (alia translation) اللاتينية، وناقله لا يزال مجهولا لدينا (12) .

ويلاحظ د. أحمد فؤاد الأهواني في (الملحق) لكتاب "النفس" المنسوب لإسحاق بن حنين(13) أن (الأب ج – ش – قنواتي) عثر على ترجمة إسحاق لكتاب النفس، وهي الترجمة الكاملة للنص العربي التي قدّم لها وصفا في طبعة "كتاب النفس لأرطوطاليس" .

وفي اعتمادنا لتحقيق الأهواني لكتاب "تلخيص النفس" (14) أفادتنا مقدمته بهذه الإيضاحات :

(*) كذا في الأصل

نحن لا نجد أحدا قد نقل كتاب "النفس" بأكمله إلى اللغة العربية وإنّما نقله "حنين" إلى السريانية.

أما عن نسخة الاسكوريال، فقد قيل انها "تلخيص لكتاب النفس" [15] لحنين بن اسحاق، وهذه النسخة هي بدورها تلخيص لا ترجمة كما يذكر في نفس المجال الأهواني مصرّحا بأن صاحبها غير معروف لدينا [16].

أما عن ترجمتي هذه فحاولت قدر الإمكان أن تكون أمينة، وقد أضفت إليها معجما رباعيا لاتينيا ويونانيا وفرنسيا وعربيا يتضمن أهم المصطلحات والمفاهيم الفلسفية الرشديّة المتداولة في هذا الكتاب النّفيس، وبشأن الألفاظ اللاتينية واليونانية فإنها مستمدة من فهرس "كراوفرد" "Index Satinus - Graecus" [17].

في حين أن الألفاظ الفرنسية تعتمد فهرس "تريكو" Aristote De l'Ame - Traduction, Note et Index par J. TRICOT [18].

وأيضا المعجم اليوناني / الفرنسي لبايي (A. BAILLY - Hachette).

أما في ما يخص المصطلحات العربية ؛ فبعضها صادر عن معجم الأب جورج شحاتة قنواتي في آخر نشرته لترجمة كتاب أرسطوطاليس التي أصدرها الأهواني عن (دار إحياء الكتب العربية) [19].

ولا يسعني في الأخير إلاّ أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عبد الوهاب بوحديبة رئيس المجمع التونسي "بيت الحكمة" على حسن عنايته بترجمتي.

كما يسعدني في هذا المقام أن أشكر أيضا أستاذي جاك فونتان رئيس أكاديمية النقائش والآداب الجميلة بباريس لتشجيعه ولمساعدته المفيدة.

وأشكر أيضا الأستاذ م. لوموان عضو المركز الوطني للبحث العلمي في باريس (C.N.R.S) لاقتراحاته القيمة الوجيهة .

كما أعبّر لزميلي د. عز الدين قلوز – أستاذ بجامعة باريس – عن امتناني، وأشكره على توجيهاته ونصائحه المفيدة .

وأقدّم شكري كذلك لزميلي د. توفيق بشروش لمتابعته الدقيقة وتقويمه وتشجيعه لي.

ولا أنسى كل الأساتذة والزملاء الذين قدّموا لي يد العون، فإليهم جميعا جزيل شكري وكامل امتناني وعرفاني بالجميل .

---

(1) راجع : - Ernest (Renan) : "Averroès et l'averroïsme - essai historique oeuvres complètes". Paris - (Calmann - Lévy), 1949, p. 167-169.

(2) نفسه : ص. 67-77.

(3) كارل بروكلمان : "تاريخ الأدب العربي"، ترجمه إلى العربية د. محمود فهمي حجازي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1955، ص 79-88 .

راجع أيضا قائمة د. عبد الرحمان بدوي في مؤلفه : "تاريخ الفلسفة في الإسلام" :

"Histoire de la philosophie en Islam". Paris (J. Vrin) 1972 vol. II. p. 745-759.

وفيما يخص مؤلفات ابن رشد وتحديد تاريخ تأليفها راجع أيضا : د. جمال الدين العلوي : "المتن الرشدي" (دار توبقال للنشر)، الدار البيضاء، المغرب 1986، (ص ص : 245) .

– الأب جورج شحادة قنواتي : "مؤلفات ابن رشد"، (المطبعة العربية الحديثة)، القاهرة 1978 .

(4) لكون اسم ابن رشد اللاتيني (Averroès) بفعل اللفظ الاسباني الذي تحولت به كلمة Ibn إلى Aben أو Aven فقيل Averroysta Aben-Rassd, Ibn Rushid Adveoys إلخ ...، راجع ارنست رينان : "ابن رشد والرّشدية"، الترجمة العربية لعادل زعيتر، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1957، ص 28، هامش (1) .

(5) ["إن الحديث عن شروح ابن رشد يقتضي التّمييز بين شروحه لمؤلفات أرسطو وشروحه لمؤلفات فلاسفة آخرين إسلاميين وغير إسلاميين. وتبقى شروح ابن رشد لكثير من أجزاء الموسوعة الأرسطية هي ما يشكل بحق قوام الشروح الرّشدية، ومن ثمة قوام المتن بأكمله"] جمال الدين العلوي : "المتن الرشدي"، ص 135 .

(6) شرح كتاب النفس لابن رشد لانعرف تاريخ وضعه بالدقة – كما أن النص العربي لا يزال مفقودا – فقد ذكر له ابن أبي أصيبعة : "شرح كتاب النفس لأرسطو" (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) ص 532. وذكر له المراكشي صاحب كتاب : "الذيل والتكملة"، تحقيق د. إحسان عباس : (تلخيصا في كتاب النفس"، "شرحا في كتاب النفس"، "مقالة في علم النفس"، "تعاليق على كتاب النفس" (بيروت 1973، ص 24). أما عن قائمة الاسكوريال لكتب ابن رشد فهي : "تلخيص كتاب النفس"، "شرح كتاب النفس"، "المسائل على كتاب النفس"، "المسألة في علم النفس سئل عنها فأجاب فيها"، "مقالة في علم النفس"، "مقالة في علم النفس أيضا" راجع :

E. Renan : Averroès et l'Averroïsme" p. 462-464.

وفيما يخص الترجمة اللاتينية ضمن شروح ابن رشد على أرسطو فقد طبعت عدّة طبعات. والطبعة الأساسية لشروح ابن رشد باللاتينية ظهرت في مدينة بادوفا (إيطاليا) عام 1472 .

(7) كشف لنا عبد القادر بن شهيدة عن سرّ حواشي نسخة (مودينا) التي اشتملت على نص التلخيص في متنها وعلى حواشي وافرة تحيط بذلك النص، ملاحظا أن كل من درس "جوامع" كتاب النفس أو الترجمة اللاتينية للشرح الكبير يرى أن كمية شروح ابن رشد وتحاليله تكثر وتطول عند الخوض في مسألة العقل خاصة. وتتواجد هذه الحواشي في هوامش كتاب "التلخيص"، لذلك افترض الباحث أحد أمرين :

1 – إمّا أن تكون تلك الحواشي تعليقات عبريّة على النص (العربي – العبري) لتلخيص كتاب النفس.

2 – وإما أن تكون بعض المقتطفات والفصول المنتزعة من النص العربي المفقود – وهو "الشرح الكبير" على كتاب النفس لأرسطو، أضافه الناسخ في هوامش كتاب التلخيص تعميما للفائدة. راجع عبد القادر بن شهيدة "اكتشاف النص العربي لأهم أجزاء الشرح الكبير لكتاب النفس"، الحياة الثقافية، عدد 35، تونس 1985، ص 14-48. ومن ناحيته يلاحظ أحمد شحلان أن تاريخ النسختين : نسخة (Modina) أقدم من نسخة باريس إذ تحمل الأولى تاريخ